# مرثية الى اخي بدر

ان جئت أكلل قبرك بالزهر
ونظرت الى .. فلم تعرفني
أحبابك يا بدر ملايين
وأنا من أحبابك يا بدر .
أمس أتانا الخبر المر
ان أخانا بدر قضى
فوقفنا بضع دقائق في صمت
ثم جلسنا
لكن الحزن ،
لم يتركنا
والى أن نلحق بك يا بدر
سيظل الحزن يلازمنا .
« المومس » (١) كانت عمياء يا بدر
أما انت
حين أتيت أزورك بعد هبوط الموت
ولقد سبلوا جفنيك
شاهدتك حيا
وانبعث بريق من عينيك المغمضتين
فلقد احييت الاموات بدنيانا
كيف ترى لا تحيي نفسك يا بدر ؟
ومددت ذراعي لاصافح يدك الممدوده
لكن .. آه
آه يا بدر
فلقد ظلت يدك الممدودة ممدوده
وتصور لي جوف القبر
والجسد الميت تنهش ساعده الدوده !
لما ودعت الدنيا يا بدر
لم يكن الوتر الصافي قدم من الحانه
ما يطفىء فينا ظمأ طال
حقا .. قدمت لنا الماء زلالا
وشربنا منه
لكنا كنا ننتظر مزيداً يا بدر
مثلك لا يسأمه الناس
اذ ادركت قضايا الناس
ورأوا فيك طليعة فجر .
عفوا يا بدر !
عفوا ان قلت : وداعا !
وأعدت الى الجنب ذراعا !
وتركتك في القبر شراعا .. غيبه اللج
عفوا يا بدر !
فالامة ما زالت منتظره
أن يصنع احبابك يوما فجر النصر
أن يركز أحبابك يوما ،
في الدنيا أعلام الثوره .
فلتهدأ في قبرك يا بدر
اهدأ فرفاقك يا بدر
أكثر من أن يشملهم في يوم حصر .

القاهرة

**عبد الرحمن غنيم**

( ١ ) اشارة الى قصيدة « المومس العمياء » للشاعر الفقيد.

ومن خلال هذه المأساة المباشرة ، ارتبطت احاسيس الشاعر بنغم واحد ، هو الموت ، والمدخل الشعوري اليه :

من خلل الدخان ، من سيكاره
من خلل الدخان
من قدح الشاي ، وقد نثر ، وهو يلتوي ، ازاره
ليحجب الزمان والمكان ،
حدثنا جد ابي فقال : « يا صغار ،
مغامرا كنت مع الزمان ،
نقودي الاسماك ، لا الفضة والنضار ،

فمن حياة هي مغامرة في العبث ، ومن اجل العبث ، كان يتأكد جوهر الاغتراب الحقيقي لدى الشاعر ، الى ان تجسد في هذا القتل المادي البطيء لجسده ، تحت وطأة الشلل .

فأن يموت الانسان ، تلك اوضح الحقائق وابسطها . ولكن موت الشاعر ، وشاعر كبدر شاكر السياب ، يظل له معناه الخاص . فكل نهاية لا بد ان تقيم مما يسبقها . لذلك لم يتعب الفكر والادب في اكتشاف الموت ، مع موت كل انسان . ان حياة المبدع هي التي تعطي لموته فرديته الخاصة . وحتى لو مات ( بدر ) بعد خمسين عاما ، فسيظل هذا الموت مفاجأة . وبالتالي فلا بد من عملية استخلاص لمعناه الخاص ذاك .

ولربما كان لمن عرفه من اصدقائه ، وانا واحد منهم ، ان يذكروا ( بدر ) وكأن الرجل لم يصنع شاعره من انسانه ، ولكنه دأب على اكتشاف انسانه من شاعره . لقد ولد هذا الشاب ، اكثر الشباب نحولا وحياء ، من وجوده ووجود العالم حوله ، اكثر الشباب حرمانا وعاطفية وعفوية ، ولد من اجل ان يظل الشعر هو اداة حياته كلها .

ومن الحنين الى ما قبل الوعي ، الى الطفولة والقرية ، الى الحنين الى الموت لم يكن لبدر ثمة عمر الا الاحساس بالاغتراب اينما كان . وبالرغم من ان الالم المادي القاهر ، قد شد هذا الانسان الى الارض دائما ، الا ان حزنه الفطري ، العفوي ، كان يحوله من قصة مريض الى مأساة بطل .

***